اجتياحات اسرائيل

برنارد نويل*
ترجمة محمد بنيس

توضيح

من عادة بيرنار نويل، الشاعر والكاتب الفرنسي، أن يكتب مرة بعد مرة عن آلام وعذابات الشعوب التي تتعرض للعنف. انه موقفه الثابت منذ كتاباته الأولى عن الحرب التي شنتها فرنسا ضد حركة التحرير الجزائرية حتى اليوم. لكن ما يكتبه بهذا الشأن، وخاصة في السنوات الأخيرة، وبالتلازم مع الحرب على العراق والعدوان المتكرر على الفلسطينيين، لا يجد منبراً للنشر في فرنسا الا لدى جهات هامشية، رغم أنه أحد أكبر أصوات الثقافة الفرنسية اليوم.

وهو عندما يكتب نصا، هذه طبيعته، يبادر الى موافاتي به حتى يستطيع قراء العربية الاطلاع على موقفه المناهض للعنف. يوم الجمعة 28 تموز (يوليو) صباحاً توصلت منه عبر الانترنيت بهذا النص الجديد الذي ينتقد فيه عنف اسرائيل وتدميرها في كل من فلسطين ولبنان، فحرصت على ترجمته فوراً ونشره بدون تأخير. وورد في كلمة مرفقة بالنص أنه لا يجد أين ينشره في فرنسا ولربما كانت صعوبة النشر هذه المرة أكبر من السابق.

وكوني توصلت بالنص يومين قبل مذبحة قانا الثانية فذلك هو ما يتطلب مني هذا التوضيح. لا شك أن مذبحة قانا كانت ستدعو بيرنار الى كتابة نص تكون فيه مأساة المذبحة حاضرة باسمها. مع ذلك فان القارئ سيلاحظ أن النص يذكر المذبحة ويشير الى أنها من خصائص العمليات العسكرية الاسرائيلية كلما شنت اسرائيل حرباً على الأضعف. ولعل تفاقم العدوان وتسارع الأحداث سيجعلان من كل كتابة مناهضة للحرب الاسرائيلية على لبنان وفلسطين فقرة من كتابة مفتوحة لا تتوقف عن الشهادة والفضح والادانة.

(المترجم)

تصلح كلمة «اجتياح»، في النشرات الاخبارية الأخيرة لاذاعة «فرانس كولتور» اذاعة فرنسا الثقافية، لوصف العمليات العسكرية الاسرائيلية في لبنان. هذه الكلمة تشد الانتباه لأنها تستعمل لأول مرة بالمقارنة مع الكلمات التي تستعملها القنوات الأخرى. فمعنى «الاجتياح» حسب معجم ليتْري «سباقٌ؛ و بالتالي فان من يقوم به يمر فقط على الأرض التي يُخَرّبها». ورغم أن هذا التعريف يعود الى قرن ونصف فهو يصف بدقة عملية اسرائيل باستثناء كون «السباق» يخرق هذه المرة الفضاء الجوي، ومن ثم فان «الخراب» يسقط بالدرجة الأولى من السماء.

ويحل معجم ليتري على الكلمة اللاتينية «Incursio» التي يترجمها «بالغارة». ومراجعة معجم غافيو تعطي معنى «صدام، هجوم» لكلمة «Incursio» ثم «ارتمى على» لكلمة «Incursito» و«انقض؛ هجم» لكلمة «Incursio». ويقول معجم المترادفات انه لا يجب الخلط بين «الاجتياح» الذي هو نتيجة الاقتحام المؤقت لمجال ليس في ملكية المُجْتَاح وبين «الاقتحام» الذي يكمن في الدخول بكل قوة الى مكان والاستقرار.

ان الطيران هو الوسيلة الناجعة للقيام بـ«الاجتياح» لأنه «يرتمي على» هدفه ويعود للتو الى قاعدته العسكرية. فالدبابات، والفرق الخاصة، والمشاة مجبرون، بالمقابل، على «الاقتحام» حتى ولو لم تكن رسميا للقيادة نية الاستقرار. والجيش الاسرائيلي المسمى تساهال يجمع بكل وضوح منذ نصف قرن بين «الاجتياح» و«الاقتحام» لينزل بجيرانه أكبر الخسائر.

يبرهن تاريخ المرحلة بالفعل على أن وجود وسلوك تساهال يجعلان من الاجتياح والاقتحام منهجية للارهاب الوحشي الذي تتغذى ممارسته بالعمليات العنيفة. يبدأ ذلك من «الاغلاق» التعسفي دائماً الى مصادرة الأراضي، ومن تدمير بساتين الزيتون والبيوت الى الاغتيال الموجّه، ومن قصف البنيات التحتية المدنية الى قصف المدنيين، ومن اختطاف واحتجاز المسؤولين السياسيين الى اعتقال وتعذيب أي شخص كان بسبب سوء حظ وجوده في المكان غير المناسب واللحظة غير المناسبة. يتم كل هذا بحجة الحق في الدفاع عن النفس والحق في الأمن اللذين يؤديان الى انعدام عام للأمن، لا فقط حول اسرائيل ولكن في جميع مناطق الشرق الأوسط.

وأمام هذا الكم الضخم من أعمال العنف، التي لا تنجح الا في أن تسترجع وتذكر بأعمال عنف أخرى ذات مرجعيات للأنظمة الشمولية تبعث على السخط، يبدو أن مجرد التفكير السليم من شأنه أن يقود الى أن يُطلَب من السلّم ما لا يُمكنُ للحرب الحصولُ عليه. لكن لا، دولة اسرائيل تتعنت في مواصلة القمع والخوف والتهديد حينما تنتقل الى أعمال هدفُها هو ترهيب العدوّ الذي تقوم في الحقيقة بصنعه. مع ذلك فان هذه الأعمال، التي نحن بصددها تبلغ، هذه الأيام، درجة يصبح فيها ما هو غير قابل للتبرير منافسا للوحشية. وحشية تستعير تكنولوجية حربية تحول المذابح الى قضية لانسانية هي التي تنعتها الأخبار بـ«الأضرار الجانبية».

لا شك أن الحس الانساني يحتاج للاتصال، للرؤية المباشرة، أو لتقابل شخصين وجهاً لوجه حتى يعي القاتل بحق القتل الذي يتصرف فيه.

ويمكننا الاعتقاد في أن هذه الحاجة ليست حالة جندي المدفعية ولا الطيار اللذين يطلقان النار على «هدف»، لكن كيف يمكن لنا أن نمنح هذا الظرف المخفف للجنرالات، للوزراء، ولرئيس الحكومة الذي أقل ما ننتظر منهم هو أن يعرفوا ما يفعلون؟ عندما نقارن خطورة «الأضرار» بالتبرير الذي يعطيه لها المسؤولون الاسرائيليون، نتساءل هل ما ينتصر لديهم هو الكذب أم العنصرية وهم يتسارعون نحو الحث على الجريمة.

بلى، جزء كبير من استعلائهم في التنكر للوقائع يستند الى المساعدة المتواصلة والسلوك المثالي للدعم الأمريكي، الذي عمل بتفوق على انجاح الديمقراطية في العراق وأفغانستان. ان جرائم الحرب، وتعذيب السجناء، والمذابح تتغير طبيعتها بعد وصفها مباشرة بالحرب على الارهاب. بل انهم يحصلون من هذه الصفة نفسها على الارتياح. ثم ان ضحايا هذه الحرب ليس لهم الحق بطبيعة الحال في وضعية الضحايا؛ اذ يكفي أن تلصق بك صفة «ارهابي» حتى تتوقف عن أن تكون انساناً.

نعاين في اسرائيل منذ سنوات، والشهادات بهذا الخصوص متوافرة، تدريباً على الاحتقار. على احتقار الفلسطيني، الذي يُهانُ كل يوم عند نقاط العبور، محروماً من العمل، محروماً من الماء، من الكهرباء، من الطعام. تُساءُ معاملته بسبب نعم أو لا، معتقلا بدون محاكمة... ليست هذه الا الأشكال الألطف لقمع لا يتردد في اللجوء الى قذائف المدافع، الى القنابل، الى اطلاق الرصاص في غزة أو عند «الجدار» الشهير الذي يعمل على تحويل الضفة الغربية الى مركز اعتقال.

تتلازم خطورة الوضعية التي نشأت على هذا النحو مع عشرات من القتلى أغلبهم من النساء والأطفال. كل هذا تمت ادانته دون جدوى من طرف مقالات وأعمال وثائقية وكتب، لكن لا شيء يدين التدهور الأخلاقي الذي تخلفه الممارسة المستمرة للعنف لدى الاسرائيليين. اذا كان ثمة احتمال في أن جندي المدفعية والطيار لا يريان ما يفعلان، فان القامع يراه بقوة عندما يترك أشقياء ينتظرون ساعات خلال اجتياز المعابر، عندما يقتحم الأبواب، يحطم الأثاث، عندما يدمر بيتاً بدبابة بيلدوزير، عندما يطلق النار على أطفال. ولتحمّل هذا التقابل وجها لوجه، يجب أن يكون الشخص مارس الاحتقار لزمن طويل، بل وجعل منه ثقافته. ونحن نعلم الى أي حد يجب أن ننزع صفة الانسان عن «الآخر» كي نعامله ككائن أدنى.

تنظم الحكومة الاسرائيلية هذه اللاانسانية والاحتقار العنصري الناتج عنها. وهي تندهش من المقاومة التي تلاقيها في الوقت ذاته الذي تبذل جهدها للقضاء عليها. من هنا تأتي مضاعفة العنف، الذي يؤكد رغبة في مذبحة ضمنية، وسعاراً لعدم امكانية تنفيذها. هذا السعار يعمي السيد أولمرت وجماعته ما دام يدفعهم الى القيام بعمل يتعارض مع مصلحة شعبهم الذي هو أعمى بدعايتهم. هكذا، في اليوم الخامس عشر من تدمير لبنان بالقنابل الأمريكية بهدف التحريض على التبرؤ من «حزب الله»، المتسبب؛ حسب زعمهم؛ في كل هذا الشر، يكشف استطلاع للرأي أن 87 % من اللبنانيين يرون في «حزب الله» حركة مقاومة تشرفهم.

ان الحماقة السياسية مجرمة. لقد رأيناها في العراق، في أفغانستان، ونحن نراها متحسرين في فلسطين ولبنان. والمفجع أن هذه الحماقة لا تلقى أي معارضة في الغرب الذي يتخلى عن شرفه عندما يبحث لها عن دوافع تستدعي الاحترام. والبلدان العربية لا تفعل أحسن، ولكن لها العذر، بفضل أمريكا دائماً في أن حكوماتها بعيدة عن تطلعات شعوبها. ولا جديد في الصاق صفة الارهابي بحركات المقاومة، لكن، على المستعملين لهذه البلاغة، التي يبدو أنها لا تبلى، أن يعرفوا أنه لمن الخطير الزج بالمقاومة في اليأس.

لم يكن الشرف مما يلتزم به الديبلوماسيون والتجار، ولكنه كان الى عهد طويل قاعدة لعب العسكريين. فأي شرف يمكن الحصول عليه من قذف معمل للحليب، من قصف مدرجات مطار مدني أو بنايات السلطة الفلسطينية؟ من المؤسف أن تساهال وجنرالاته لم يسعهم على الاطلاق تأمل هذا البيت الشعري الكلاسيكي الذي أصبح مثلا يُستشهدُ به «في الحاق الهزيمة بدون مجازفة، ثمة انتصارٌ يفتقد المجد». لم يعد من شرف لاسرائيل سوى لدى بعض «الرافضين للأوامر العسكرية» الذين كانوا يمتنعون عن ذبح الأبرياء، لكن الوقت قد فات بالنسبة لتساهال. فهذا الجيش المكوّن من النخبة لم يتدرب الا على سحق الأضعف منه، لذلك فهو يعتبر منذ الآن أجبن جيوش العالم.

* شاعر وكاتب من فرنسا

نظام عربي لا يخرج عن تاريخ وظيفته

حمدان حمدان*

■ يقول كتاب صادر عن دار التقدم في موسكو، وهي دار سبق لها ان احتضنت كبار المستشرقين السوفييت من امثال (فوبليكوف، وكيكتييف وليبديف ونشتكين وسلطانوف).. ان اساس رسوخ المملكة السعودية، انما يعود الى مبلغ مئة وثلاثين الف دولار، قدمتها الولايات المتحدة باسم شركة نفطية امريكية هي ستاندرد اويل كومباني اوف كاليفورنيا.. ففي ايار (مايو) من العام 1933، اي مع اجتياح الازمة الاقتصادية العالم بأسره، كانت شركة كاليفورنيا النفطية، تحصل على امتياز للتنقيب عن البترول في مساحة 932 الف كيلومتر مربع من اراضي المملكة (اقل من نصف مساحة المملكة بقليل) لقاء مئة وثلاثين الف دولار ولمدة ستة وستين عاما دون زيادة او نقصان، ويضيف الكتاب انه (بعد عامين فقط من ابرام الاتفاقية، باعت ستاندرد كاليفورنيا، نصف امتيازها (اي 466 الف كيلومتر مربع)، لشركة تكساس اويل كومباني بمبلغ 21 مليون دولار، وهو ما يعكس جهالة المالكين لاراضي النفط، حين تتم المقارنة بين مئة وثلاثين الف دولار لكامل مساحة الامتياز، وواحد وعشرين مليون دولار لنصف هذه المساحة، ولكن بحسابات امريكية ـ امريكية.. (تاريخ الاقطار العربية المعاصر ص 404). ولا يعود من العسير، فهم سيرورة العلاقة السعودية الامريكية، عبر خمسة وسبعين عاما من نشوء المملكة، فلو ان الأمر اقتصر على حاجة مصيرية بالنسبة للمملكة في حينه، لما توقف الباحث طويلا عند نقطة البدء في العلاقة، لكن المشكلة امتدت الى ما يمكن تسميته بأسرة النظام او نظام الاسرة، فعبر سبعة عقود، والمملكة في احضان الطلب الامريكي الجاهز، وبصرف النظر عمن هو فوق العرش، فان السياسات السعودية الاقتصادية والامنية والقومية، لا تحيد عن البوصلة الامريكية، ولو بالصمت حينا او بالتصريح التوافقي لما تبتغيه واشنطن او ترضى عنه.. وهناك عشرات الوقائع منذ ان قام الملك المؤسس بتوحيد المملكة وطرد بقايا الهاشمية منها.. وحتى احتلال بغداد، مرورا بضيق ذات اليد بالنسبة لفلسطين. لكن شيطان التفاصيل يجرنا الى حافته، فثمة وثائق من الخارجية العراقية زمن الرئيس صدام، تقول «انه بعد ان هاجم الرئيس عبد الناصر، مشروع الملك فيصل في دعوته لانشاء حلف اسلامي رسمي، بصفته امتدادا لحلف بغداد، قام الملك فيصل بارسال خطاب الى الرئيس الامريكي ليندون جونسون بتاريخ 27 كانون الاول (ديسمبر) 1966 الموافق في 15 رمضان 1386هـ ويحمل الرقم 342 من ارقام الوثائق السرية لمجلس الوزراء السعودي، وها هي مقتطفات من هذا الخطاب: «من كل ما تقدم يا فخامة الرئيس وما عرضناه بايجاز، يتبين لكم ان ناصر هو العدو الاكبر لنا جميعا.. وان هذا العدو اذا ترك وهو يحرض ويدعم اعداءنا عسكريا واعلاميا، فلن يأتي عام 1970، كما قال الخبير الكبير في ادارتكم السيد كيم روزفلت.. وعرشنا باق في الوجود، انني ابارك ان تقوم امريكا بدفع اسرائيل لهجوم خاطف على مصر، حيث لن يرفع بعدها اي مصري رأسه خلف القناة، او يحاول استعادة مطامع محمد علي وعبد الناصر في وحدة قومية» وهو تمهيد لكارثة حزيران (يونيو). وهناك خطاب اشد قسوة، كان قد تم ارساله من الرياض الى عمان، يستثير فيه الملك السعودي، نخوة العاهل الاردني (الملك حسين)، من أجل الاسراع في القضاء على (زمرة الرعاع) ممن يسمون انفسهم بالفدائيين الفلسطينيين والا (فالسيف هو الحكم)! وهو تمهيد آخر لايلول الاسود.

اما مصر بعد وفاة القائد الخالد عبد الناصر، فقد باتت من اعمال الحقبة السعودية، حتى كاد الرئيس السادات، ان يضع ولاية مصر، فيما يرتأيه الملك السعودي دون مراجعة او اعتراض!.. كانت وديعة مصر في عنق السعودية، بعد ان وضع الرئيس السادات نظريته في المفتاح الامريكي الوحيد، وهكذا الى ان تم اغتياله في عرض عسكري بمناسبة احتفالات تشرين الاول (اكتوبر).. ثم جاء الرئيس الجديد مبارك، ليوغل في عالم المفاتيح الامريكية، متوافقا بمناسبة او بدونها، مع ما تفترضه الرياض من حكمة الاصغاء الى الحاكي الامريكي دون تثريب. فقد استكمل نائب الرئيس الذي اصبح رئيسا، كل ما اودعته المدرسة الساداتية دون حيدان، بل ونظرا لانعدام كاريزما الرئاسة، فقد زاد على دفتر الشروط الساداتي، ما لا يليق بوزن مصر ودورها، ولعل اقل ما يقال في وظيفة الرئاسة المباركية، انها حولت دور مصر من قائد للأمة الى دور السمسار عليها، اذ اضافة الى دور (الوساطة) بين فلسطينيين واسرائيليين فان مبارك كاد يقدم كل ما عنده، في تسهيل احتلال الامريكيين للعراق، بل وزاد على الدور المطلوب منه امريكيا لهذه الغاية، ففي مبادرة منه، سيلتقي الامير بندر بن سلطان، سفير السعودية السابق في واشنطن، كي يتبرع بمعلومات ثمينة، من مصادر معلومات استخباراتية مصرية داخل العراق، تقول: «ان استخباراتنا تؤكد ان هناك مخابر متحركة في العراق، لصنع اسلحة بيولوجية وان رسالة وصلتني ـ اي وصلت لمبارك ـ من مبعوث صدام، تفيد برغبة المجيء الى مصر فهل انتم مستعدون لاعطائنا ونسائنا واطفالنا احد القصور الجمهورية، علما بانه يمكننا ان نجلب اموالا نقدية او على شكل سبائك ذهبية، ما يقدر بملياري دولار امريكي» ـ بوب وودورد ـ خطة هجوم صفحة 446).

ويبدو ان الرئيس المصري، امعانا في توكيد رسالته الاسترضائية، قد ارسل نجله جمال لمقابلة بوش سراً (في مقر الاقامة في البيت الابيض، كي يعيد على مسامع الرئيس الامريكي ما كان ابوه قد قاله لبندر، ثم ليستفسر: ما رأي الرئيس في توفير المنفى لصدام وعائلته وامواله في مصر؟! ـ المصدر ذاته ص 448). وفي مكان آخر من المصدر، سيعنف الرئيس بوش ابن الرئيس المصري بقوله: «اذا كنت تبحث عن تطمينات مني حول اننا لن نفعل شيئا فانك لن تحصل على مثل هذه التطمينات، فالولايات المتحدة ليست مسؤولة عن حماية حياة صدام، وانني لا اتعاطف مع اولئك المتطلعين لتوفير الحماية له ـ صفحة 449 المصدر نفسه).

ولم تكن هي المرة الاولى، التي يعنف فيها بوش، تابعيته من حكام العرب، فقد اورد بوب وودورد، آيات لا حصر لها في تقريع ابن السلطان بندر، فهو يعنفه على لهفته واضطراب اعصابه وقلقه (لو تردد بوش في شن الحرب على العراق ـ ص 495)، فما ان اخبرته كوندوليزا رايس، في النهاية بساعة الهجوم (على الدورة)، حتى (كاد الامير يختنق من الانفعال، ففي غمرة من طوفان الفرح لقرب الخلاص من صدام، فان الأمير راح يهتف من سيارته دون اضاعة وقت، لولي العهد الأمير عبد الله بترميز يقول: تفيد النشرة الجوية الليلة بان مطرا غزيرا سينهمر فوق الروضة.. ورد ولي العهد مصعوقاً: يا الهي.. سمعتك.. سمعتك ولكن كررها على مسامعي ثانية.. ففعل ـ صفحة 563 و564 من كتاب بوب وودورد).

اما المطر الغزير، فكان قنابل الولايات المتحدة وصواريخها، واما الروضة فهي العراق. ولم يكن الملك الاردني الشاب، اقل الحاحا في طلب الحرب على العراق، فقد سبق للملك ان قام بزيارة الى قادة تركيا ومصر وسورية (في 9 كانون الثاني /يناير 2003)، بمهمة ظاهرية عنوانها الحيلولة دون وقوع حرب على العراق، فيما يؤكد جورج تينيت، مدير وكالة الاستخبارات الامريكية في حينه، بان (الملك عبد الله قرر الاضطلاع بحمل عبء القرن بموافقته على دعم الحرب) وفي منتصف اذار/مارس منه 2003، كان الملك الاردني (احد الساخطين ضد الرقص في الامم المتحدة صارخا: هيا نذهب لا اطيق هذا التردد. اذ ما الذي ننتظره؟ وهل هي حرب ام لا حرب ـ ص 495 من المصدر المذكور).

ان حبل المسد في ديمومة نظامين رسميين عاشا ثلاثة ارباع القرن فوق ارض المنطقة، ليشير صراحة بأن نظاما عالميا قويا كان وظل وراءهما، والمشكلة ان ما نقوله ليس جديدا، لكن المشكلة المستتبعة، ان نظامي السعودية والاردن، ظلا في جوهر نظام الاسرة لا نظام الدولة، اي نظام ما قبل الدولة، ومن هنا فان عجلة التقدم، لم تمس سوى الظاهري في التطور، مثل مدن وشوارع وجسور وجامعات ومعاهد ومشاريع مشتقات النفط وسواها.. وهو ما يعكس بنية تحتية من صنع الشركات العابرة بنفقات دولة خراجية، وهذا معناه ان الشعب ليس هو اداة التطور، بل سلطة ما قبل الدولة، وعليه فان القرار (الاقتصادي، الأمني والسياسي..)، باق بيد نظام الاسرة، من حيث انتفاء مؤسسات الدولة الحقيقية، التي لها حق الاعتراض والنقد والتوجيه، وكم يصبح من السهولة اتخاذ قرار مصيري او غير مصيري لدى هذا النوع من السلطات، فقرار التعايش مع القواعد العسكرية فوق ارض الجزيرة العربية. هو قرار مزمن سواء في سنوات القرن البريطاني القديم او قرن امريكا الجديد، وهو قرار اتخذ بذريعة تأمين الحماية الذاتية، من مخاطر شيوعية مفترضة، او مخاطر ناصرية مستتبعة.. كذلك هي قرارات الصمت والاستخفاء عما جرى ويجري لشعب فلسطين، وكأن مواطن النفط ليست من ارض العرب، ولعل القرار الفضيحة، كان في احتضان القوات الانكلو ـ ساكسونية الغازية للعراق، بست مناطق تحشد واربع قواعد انطلاق، لما يشتمل على قرابة مئة وثمانين الف جندي مع كامل الاسلحة والاعتدة واللوجستيات فيما رفضت تركيا (غير العربية) حمل مثل هذا العار. وفي كل هذا وسواه، ما لا يضع المرء في صدمة المفاجأة، حين تضع مثل هذه الانظمة، مسؤولية دمار لبنان على كاهل حزب الله وليس اسرائيل، لكن المفاجأة هي في خروج السعودية، عن النمط التقليدي الرائج في تصريحاتها العلنية في مثل هذه الظروف، فقد عهد عن السعودية دفء اللسان والبقاء في (اللعم) العرفاتية بين خندقين، اما ان يكون التصريح الاول بتحميل المسؤولية على حزب الله، صادرا عن الرياض، وبالتبعية مصر والاردن، فان في الأمر ايماءة خارجية قوية مطلوبة، ولا راد لها!

اليوم تقوم قائمة نظام التبعية الامريكية، في حرب يخوضها حزب الله نيابة عن ايران، واكثر من ذلك، فانها حرب شيعية تخاض بالاصالة عن نفسها، والوكالة عن ايران، وفي هذا تجرد اقلام مثقفي السلاطين لاستنباش ما هو طائفي في غمار حرب جارية، تماما مثل مشهد قادم من مواقف عربية ـ اسلامية في حروب صليبية، كان يجللها العار، قبل نهوض عماد الدين زنكي وابنه نور الدين ووريثهما صلاح الدين.. لتوحيد الأمة ورص صفوفها.. فقد روت ارض فلسطين دماء شعوب بحالها، من سمرقند الى بغداد ومن بغداد مرورا بدمشق الى القاهرة، فهي ليست دماء سنية او شيعية، ولا دماء اسلامية او مسيحية، بل ولا دماء عربية او ايرانية.. اذا ما الذي يضير لو ضرب حزب الله اسرائيل باسم ايران او افغانستان؟ فالمهم بالنسبة لنا كعرب، ان يتجرأ احد على ضرب اسرائيل مثلما فعل حزب الله، اما منطق المغامرة الذي يهاجمه الرئيس المصري، فانه يعكس باطنية موقف الاذعان، فيما اسرائيل تمارس عربدة وحشية ضد شعبنا الفلسطيني واللبناني دون ان يسألها احد. لقد قال المجاهد الكبير حسن نصر الله بان هذه الحرب باتت معركة الامة، فاذا ما سقط جدار المقاومة ـ لا قدر الله ـ فان الامة بجماعها ستعيش في ذل ابدي، وحتى القاعدة فانها باتت تتحدث عن المستضعفين في الارض، وهو تقرب يشي برمي الطائفية وراء الظهر.

اما في العراق فان النزاع المذهبي اساسا لم يولد من ذاته، بل هو الموقف من الاحتلال، وها نحن اليوم، مع انقضاء الاسبوع الثاني، من جريمة ابادة لبنان على يد اسرائيل نرى بأعيننا ونلمس بأيدينا، تهافت المرجعيات العامة في لزوم الصمت والتخفي، اذ ليس من المعقول، ان تساق الامة الى الخراب والقتل، ولا نسمع فتوى جهادية لا من ازهر ولا من نجف.. وهذا يعني تسييس المرجعيات على هوى اصحاب القرار في سدة الحكم وليس شيئا آخر، فالمفهوم ان الازهر صامت لوقوعه تحت سلطة الدولة المصرية، لكن الغرابة كل الغرابة، ان تبقى مرجعية النجف على صمتها المريب، وهي مرجعية كل الشيعة في العالم، وهل حقا ان ايران عاجزة عن ممارسة الضغط على آية الله السيستاني، لاستصدار فتوى جهادية واحدة، ضد الاسرائيليين في لبنان والامريكيين في العراق، فاذا كان الامر كذلك فسوف نعيش رجبا كي نرى عجبا!

* كاتب من فلسطين يقيم في سورية

الحرب العادلة

د. سهير ابو عقصة داود*

■ في حين بدأت بعض الصحف الاسرائيلية بنشر مقالات تناقش الحرب الهمجية على لبنان متسائلة عن الدوافع الحقيقية لها، عن الثمن الذي يدفعه الاطفال والمدنيون الى حد اعتبار ان الاجماع القومي على هذه الحرب لا يجعل الحرب عادلة ولا يعطي اسرائيل حق انتهاك بلد انتهكته مراراً ومراراً وعاثت به الدمار والخراب مرة ومرات بحجة المنظمة الفلسطينية ومرات اخرى بحجة حزب الله يصطف في الجانب العربي هؤلاء الذين لا يهمهم طرح السؤال ولا البحث عن الجذور وانما فقط في اتهام المقاومة وفي نشر البلبلة والالتباس بين صفوف الناس الذين اثبتوا مراراً ان حسهم الوطني اعمق واصدق من هؤلاء السياسيين الذين يترزقون على الدم والخراب وزرع الفتنة.

واكثر ما استفزني في هذه الايام العصيبة على كل عربي وكل انسان ليس موقف الادارة الامريكية فهذه لا امل فيها، ولا الحكومات العربية، فهذه لا امل فيها ايضاً انما هؤلاء الاطراف اللبنانيون والذين لم يخجلوا بالتنظير والتسويق للاهداف الاسرائيلية والدولة اللبنانية التي لم تعرف كيف تدافع ولو بالموقف عن ملايين مواطنيها الذين اصبحوا تحت رحمة الجزار الاسرائيلي واعوانه في الشرق والغرب.

ومما يثير الاشمئزاز ايضاً هؤلاء الذين فتحت لهم الحرب ابواباً للشهرة وللتملق على صفحات الجرائد والفضائيات. اصبح الجميع محللين.. واصحاب كلمة ورأي يتحدث به باسم الجميع. فهذا الذي يتملق للصحف الاسرائيلية ويشكي المه وهمه لوقوعه بين الدولة التي يعيش فيها مع انه عربي وبين الدولة التي تواجه العدوان وبها آلاف من شعبه اللاجئ ومن اخوانه العرب. هذا لا يخجل ان يثني على ان اولمرت عزى اهل الناصرة باستشهاد طفليهم في حين لم يفعل السيد نصرالله ذلك (يبدو انه لم يستمع الى خطاب شيخ المقاومين) ولم يرتدع عن الوقوف بجانب الدولة التي تمارس الارهاب على شعبه الفلسطيني منذ اكثر من خمسين عاماً.

هل هنالك فعلاً مكان للحيرة؟ للانتماء الثنائي في هذه الحرب غير العادلة؟ لا اعتقد ان هذا يجب ان يكون.

الانتماء الاثني او الديني ليس هو الذي يجب ان يحدد عدالة القضية او المعركة. عدالة قضية الشعب الفلسطيني واللبناني مقابل الاطماع الاسرائيلية في لبنان وارض فلسطين، في خلق شرق اوسط ذليل للمصالح الاسرائيلية التي تلتقي مع مصالح الذين تزعموا بقوة الارهاب على شعوبهم.

عندما يتساءل بعض الاسرائيليين عن ماهية هذه الحرب ويقولون بصوت عال انها حرب غير عادلة وان اسرائيل تعتقد انه يحق لها ما لا يحق لغيرها من العار ان نسمع الاصوات العربية تتهم حزب الله بأنه جر هذه الحرب على لبنان. او ربما حزب الله ايضاً جر نكبة فلسطين؟ ماذا كانت الذريعة يومها؟

لمن يريد الا يفيق الافضل الا تفيق. اشرف للجميع ان تصمت من ان تطالعنا صورك ايها السياسي، ايها المحلل.. ايها المتخاذل ايها الواهم.

هل هذه معركة اعلامية؟ لا شك ان للحرب الاعلامية دورها هنا ولكن الحرب ليست في جوهرها اعلامية بل حرب شرسة لها جذور تمتد الى البعيد البعيد.. يوم جاء القرار الصهيوني لبناء «وطن يهودي» في فلسطين مدعوماً بالدولة الامبريالية بريطانيا. من اعتقد ان المشروع الصهيوني قد تحقق بزرع الدولة العبرية فهو خاطئ. اثبتت اسرائيل وتثبت اليوم في عدوانها الجديد على لبنان ان مخططات الامبريالية العالمية المتمثلة اليوم بالولايات المتحدة اساساً لم تتحقق بعد.

وهذه هي القضية لهذا المحتل: هم لا يريدون ان يدفعوا الثمن..فقط ان ينهبوا ويحتلوا ويقتلوا ومن ثم ان يذرفوا دموع التماسيح عندما يتصدى لهم المظلومون والواقعون تحت نير الاحتلال عقوداً وعقوداً.. هم لم يتعودوا على فكرة ان يدفعوا الثمن. لا يستطيعون قبولها لانهم لا يستطيعون تقبل فكرة ان العرب.. الفلسطينيين، اللبنانيين لديهم ارادة.. لديهم مقاومة.. لديهم صمود. كل ما يلزم لتحدي عسكرتهم وجبروتهم. هذه الرؤية والعقلية الاستعلائية.. الاستعمارية هي التي توجههم ليس اكثر من قراءة التعليقات على مطالبة حسن نصرالله للمختطفين بعدم الاستسلام للضغوط والتراجع عن قضية تحرير الاسرى لرؤية هذا الحقد العنصري الاعمى وتشعيل الراي العالمي بتحريف القضية بأنها ضد «التطرف والد الاسلامي» المتمثل بحماس وحزب الله وليس قضية شعبين يدفعان الاثمان الغالية من اجل الحرية والتحرر.

عقلية المحتل لم تتغير.. وليس هذا مفاجئاً. الخوف هو ان نتغير نحن تحت اوهام «التعايش والسلام». لا تعايش ولا سلام مع محتل. مع من يرفع البندقية في وجه اطفال فلسطين ولبنان.. مع الذين يحركون الدبابات ويطلقون الصواريخ ويضيئون سماء غزة ولبنان المعتمة بالبارود والدماء.. مع عمير بيرتس، وزير الدفاع، «الاجتماعي» الذي هلل له بعض العرب في الداخل واستقبلته الحكومات العربية قبيل منافسته في الانتخابات الاخيرة.. هذا هو القاتل الجديد واعضاء حزبه العرب الذين خرسوا فجأة بعد ان صدئت السنتهم بالحديث عن المنقذ والبديل وقت عملية لم الاصوات.

لقد جاءت عملية حزب الله ـ التي رغم شهدائها الكثيرين ـ لتفضح مرة اخرى هذا الذل العربي الذي لا يريد ان ينتفض وهذا الجبن الاسرائيلي الذي لا يجرؤ الا ان يتخفى وراء آليته العسكرية وفي الملاجئ وان يؤكد انه ما زالت هنالك مقاومة. وكيف لا نعوّل على هذا الصمود؟ كل صبي تلتهب الارض من تحت اقدامه الآن يعلم ان صموده هو بندقيته فألف تحية الى شعبنا في فلسطين ولبنان والجليل.

* كاتبة ومحاضرة فلسطينية في العلوم السياسية ـ الجليل ـ كاليفورنيا

حكاية مغرب قاتل!

محمد نبيل*

■ الشرطة المغربية والقوات المساعدة تقمع المشاركين في المسيرة الوطنية الاحتجاجية التي دعت إليها الجامعة الوطنية لعمال وموظفي الجماعات المحلية، يسقط ضحية على إثرها النقابي مصطفى العرج الكاتب العام لقطاع البلديات بالاتحاد المغربي للشغل بمدينة تيفلت، إقدام مجموعة من المكفوفين على الانتحار أمام مرأى العامة كتعبير عن استيائهم من كثرة انتظار تنفيذ الوعود بتشغيلهم، هراوات البوليس تنزل على رؤوس كل المتظاهرين وتعتقل العديد منهم بشكل يكاد يحصل يوميا بالعاصمة الرباط، وارتفاع معدل الجريمة في عدد من المدن المغربية... هذا غيض من فيض العناوين الكبرى لوضعية مغرب اليوم الذي أصبح القتل والاعتقال والمطاردة تؤثث مدنه وعلى رأسها العاصمة مما حول الوقفات والاحتجاجات إلى ظواهر مألوفة لدى المواطنين.

والذي يتابع الأحوال المغربية عن قرب، يلمس كيف تحول المغرب إلى فضاء لاحتضار العديد من أطره وعلى رأسهم المعطلون وحاملو الشواهد الذين يتعرضون لكل أنواع العنف بالرغم من مطالبتهم بحقهم في الشغل الذي يضمنه الدستور الممنوح والمواثيق الدولية. العنف المغربي يطال أيضا المواطنين والمارة الذين يتابعون فلذات أكبادهم وهي تضرب أو تعتقل أو تقتل في واضحة النهار.

الصحافة المغربية تأخذ نصيبها من المطاردة والعنف وآخر الحالات ما وقع للمصور الصحافي بجريدة «بيان اليوم»، الهدي توبال الذي تعرض للرفس والضرب من طرف قائد القوات المساعدة الذي كان يشرف على عمليات مطاردة المحتجين. وقد أصيب الصحافي المذكور بجروح بليغة وانتزعت منه آلة التصوير.

والى جانب البيانات التنديدية والموقعة من طرف الجمعيات الحقوقية والأحزاب السياسية التي تناضل من أجل دولة الحق القانون، نجد الدولة المغربية ما زالت تخسر نقاطا سياسية بشكل متواصل في العديد من الملفات الحرجة، كملف الصحراء مثلا. ويمر المغرب في مرحلة حساسة تفرض على حكامه إرجاع الثقة للمواطن وبداية تأسيس الدولة الديمقراطية التي تضمن الكرامة للإنسان المغربي بمناقشة الدستور أولا، وثانيا تصفية كل ملفات الجرائم السياسية والاقتصادية التي وقعت إبان سنوات الرصاص والتي ما زالت تلقي بظلالها حتى اليوم.

مغرب اليوم تحول إلى فضاء لليأس الذي يدب في الكثير من النفوس مما دفع برئيس جمعية المعطلين بالمغرب التهامي الخياط إلى القول بأن الدولة تهيئ للمعطلين الموت البطيء الذي بدأ يقضي على زهرة حياة الكثير من الطاقات والأطر والناشطين الذين همهم الوحيد هو المطالبة بحقوقهم المشروعة.ـ أنظر الحوار الذي أجرته جريدة «البيضاوي» مع رئيس المعطلين، عدد 13198 الصادر يوم السبت 13 ايار (مايو) 2006 ـ الاختناق ودرجة الاحتقان والفساد الذي عم كل المجالات الحيوية يطرح سؤالا عريضا أمام المهتم والمتتبع للشؤون المغربية: متى ستظل لغة القمع والإكراه هي سيدة الموقف عندما يراد تصفية الإشكالات التي تتعلق بمصالح المواطن؟ متى ستباشر الدولة بشكل حقيقي المشروع الديموقراطي بعيدا عن الشعارات وذر الرماد في العيون؟

* صحافي من المغرب يقيم في ألمانيا
falsafa71@hotmail.com